الباب الثالث
فى
معرفة العقل والروح والنفس

obeikandl.com

اعلم هداك الله إن العقل والروح والنفس ثلاثة أرواح لطائف ، روحانيات ركبها الله تعالى فى الإنسان تُديره بقدرة الله عز وجل وإرادته وحوله وقوته .

فأما العقل(٨٠) : فهو نور" شريف ألطف من الروح والنفس ، ومنشؤه من نور العقل الكامل الأقدم الذى خلقه الله تعالى أولا من نور وجهه الأكرم(٨١) – كما قدمنا فى الباب الذى قبل هذا– ومصدر فعله وروحانيته من روح الأمر –الذى ذكرنا أنه أصل الأرواح كلها– وهو معدن وحى الأمر ، ومنه مصدر العلم والقدرة والإرادة الربانية ، ومنه الواردة التى كانت تزد على النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلهاماً فيتحدث بها فتكون وحيًا فى حقه وإلهاماً فى حق غيره قال الله تعالى ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا**﴾ [الشورى :٥٢] .

فمن أجل ذلك تقضى السنة على الكتاب(٨٢) ؛ لأن ذلك مشروع قوله تعالى : ﴿**وَمِا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىَ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَىَ**﴾ [النجم: ٣،٤] .

فالعقل : نور إلهامى ونور نورانى ، يشهدالعلم والمعرفة والقدرة والإرادة الربانية عن روح الأمر عن الله عز وجل ثم يلقيه إلى الروح التى جعلها الله تعالى ساكنة فى القلب وهى الروح الحيوانية المحركة للبدن فإذا أفاض عليها العقل هذه الأنوار والعلم والإرادة تحركت بها فى القلب أولا ، فإذا سمعها بأذنيه ووعاها تحرك وانتعش بها وفاضت عليها أنوار الإلهام من

---

(٨٠) العقل ؛ لغة : المنع ؛ لمنعه صاحبه من العدول عن سواء السبيل . واصطلاحاً : غريزة يتهيأ بها لدرك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف فى القلب . وقيل النفس الناطقة التى يشير إليها كل أحد بقوله : أنا . [حدود الألفاظ ص٧ ، التعريفات ص١٣٢] .

(٨١) فى النسخة (ع) : الكريم .

(٨٢) أى : تدل عليه .

الملك العلام بسرٍّ ما أودع الله فيه من القابلية لهذا العلم والإرادة الربانية فيتجلى بها ، وتشرق أنواره من ظلام السكون على جميع البدن بواسطة نور العقل الإلهامى الذى جعله الله مرآة للعارف يتضح بها فيتشعشع نوره بتلك الصفات والحقائق النورانيات من رب الإرادات ، فهذه الصفات التى وصف الله تعالى بها نفسه حين أقام بإرادته مقام ذاته ، فقال تعالى : ((**ما وسعنى سمائى ولا أرضى ووسعنى قلب عبدى المؤمن**))(٨٣) . أى وسع نور علمى وقدرتى وإرادتى وهى فيه صفتى وإليها أيضا أشار بقوله تعالى ﴿**أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَّبِهِ**﴾ [الزمر:٢٢] .

قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((النور إذا دخل القلب انشرح وانفسح))(٨٤) .

فنور العقل الذى يلهم الإنسان بالعلم والقدرة والإرادة ، وهو نور الله الذى أودعه فى قلب المؤمن ثم نبَّه عليه بقوله تعالى ﴿**السَّماوَاتِ والأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ**﴾ [النور : ٣٥] . أى فى قلب المؤمن يعنى : النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿**كَمِشْكَاةٍ**﴾ يعنى : مصدره .

﴿**فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾ يعنى : نور العقل .

---

(٨٣) الحديث : ذكره أبو حامد فى الإحياء بلفظ قال : ((لم يسعنى سمائى ولا أرضى ووسعنى قلب عبدى ...)) .قال العراقى : لم أر له أصلاً ، ووافقه الزركشى فى الدرر . وقال ابن تيمية هو مذكور فى الإسرائيليات وليس له إسناد معروف عن النبى ﷺ وقال السيوطى : ليس له إسناد معروف عن النبى ﷺ ، ومعناه وسع قلبه الإيمان بى ومحبتى ومعرفتى ، وإلا فمن قال : إن الله يحل فى قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده . [كشف الخفا ١٩٥/٢] .

(٨٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٤٦/٦) .

﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ يعنى بالزجاجة : قلبه .

﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ شبه القلب بالكوكب الدُّرى حين أشرق بنور العقل والعلم والمعرفة ، فتحلى بذلك واتصف .

وقوله تعالى ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ﴾ يعنى : شجرة العلم والمعرفة التى غرسها الله تعالى فى قلب العبد المؤمن ، ففيها حكمة الله ، وحكمه الذى يقضى به فيعدل ، ولا يجور ولا يميل يمينا ولا شمالا ولا شرقا ولا غربا .

وقوله تعالى ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يكاد زيتها يعنى: نور العلم والمعرفة الذى يستمده نور العقل من روح الأمر عن الله عز وجل، فكانت المادة كالزيت الذى يمد المصباح لقوام نوره ، فيقع النور على نور مثله وهو قوله تعالى ﴿نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَاسِ واللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور :٣٥] .

فهذه صفات العقل وأنواره البديعة الجارية بحكمة الله الرفيعة ، وفى هذا دليل على : أن العقل حين خلقه الله تعالى قال له : (أقبلْ) فأقبل (وأدبرْ) فأدبر ، فقال : ((وعزتى وجلالى لا ركبتك إلا فى أحب خلقى إلىَّ)) .

إنه عقل النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأن إقباله استمداده العلم والمعرفة من الله عز وجل ، وإدباره إمداد الخلق . بما أودع الله فيه من ذلك .

وفيه أيضاً دليل آخر لمن قال : إن العقل مسكنه القلب على الحقيقة ، وإن زعم زاعم أنه فى الدماغ أو فى سائر البدن ، فتلك أنواره التى تخرج أولاً من القلب بما أراد الله تعالى من الإلهام ثم تعود إليه كما يخرج الإنسان من بيته الذى هو مسكنه ثم يعود إليه ، والله أعلم بغيبه وأحكم .

وأما الروح[٨٥] : فإنها روحٌ لطيفة حيوانيـة ألطـف مـن النفس طبعها الحياة والحركة ، ومنشأوها ومصدرها وفعلها من العقل الإلهامى ومسكنها القلب ؛ لأنها من الطبيعة الوسطى المعتدلة ، جعلها الله سبباً لحياة البدن ولإنعاش القلب بما ألهمها العقل وأفاض عليها من نور العلم والمعرفة والقدرة والإرادة، التى هى صفات الله تعالى كما قدمنا .

فتصدر تلك الإرادة بالأنوار إلى القلب ، عن الروح ، عن العقل ، عن روح الأمر ، عن الله عز وجل . ومصدر روحانيتهما من مهبط الروح الأمين ، ومنه الواردة التى كانت ترد على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن وغيره من الحديث بالوحى الظاهر على قلبه ، كما قال الله تعالى ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾ [الشعراء:١٩٤،١٩٥] . فيكون ذلك وحياً فى حق النبى صلى الله عليه وآله وسلم وإلهاماً فى حق غيره بواسطته .

---

(٨٥) يقول العلامة ابن أبى العز : وقد أجمعت الرسل على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبَّرة . وهذا معلوم بالضرورة من دينهم ، أن العالم محدَث ، ومضى على هذا الصحابة والتابعون . ومعلوم قطعاً أن الروح ليس هى الله ، ولا صفةً من صفاته، وإنما هى من مصنوعاته . ومنها قوله تعالى ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا**﴾ . والروح توصف بالوفاة والقبض والإمساك والإرسال . وهذا شأن المخلوق المحدث ، وأما إضافتها إليه بقوله تعالى ﴿**من روحى**﴾ فينبغى أن يعلم أن المضاف إلى الله نوعان : صفات لا تقوم بأنفسها ، كالعلم والقدرة والكلام ، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها ، فعلمه وكلامه وقدرته صفات له ، والثانى : إضافة أعيان منفصلة عنه ، كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح ، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه ، لكن إضافة تقتضى تخصيصاً وتشريفا يتميز بها المضاف عن غيره .[شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٢ ، مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/٢١٦] .

ولما كان القلب منشأ الحياة الحيوانية ومعدن الأنوار الإلهية ومبدأ الحركات الإلهامية ومصدر الإرادات الربانية ، وكانت الروح محلا لمصدر إرادة الله تعالى من القلب عضدها الله تعالى بالحرارة الغريزة ، فأسكنها معها فى القلب ؛ لتضىء البدن بالسخونة ، وقبول الروح عند السريان بها إلى سائر البدن ، وهى تصل أولا من القلب مع الروح ما ألهمها العقل من العلم والإرادة فى عرقين منتشئين من القلب صاعدين إلى الدماغ الذى هو بيت الروح النفسانية الحساسة الشهوانية، حتى إذا دارت الحرارة الغريزية فى الدماغ الذى هو بارد رطب سخن ، واستعد لقبول الروح ، فتدخل على النفس، فتودعها حركة الحياة ، وما جاءت به من علم الله وإرادته ، ويكون ذلك غاية فعلها مفردة ، وبعد ذلك مع النفس مزوجة ، والله أعلم .

وأما النفس(٨٦) : فإنها روح لطيفة حارة مفرطة الحرارة ؛ لأن الله تعالى خلقها من القسم الأعلى الذى انفلق أولاً من العقل الكامل -كما قدمنا- ثم أسكنها فى الدماغ الذى هو أبرد مافى البدن وأرطب ؛ ليعتدل له طبعه بها. والدماغ فى الرأس هو بيت الحواسِّ الخمس جعله الله ينبوعاً للحس والحركة النفسانية ومصدر الإرادات الإلهامية إلى الإنسان ومصدر روحانية النفس من مهبط روح القدس الظاهر الذى هو روح وحى الله الباطن .

---

(٨٦) قال العلامة ابن أبى العز : الذى يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل : أن النفس جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جسم نورانى علوى ، خفيف حسى متحرك ، ينفذ فى جوهر الأعضاء ، ويسرى فيها سريان الماء فى الورد وسريان الدهن فى الزيتون ، والنار فى الفحم . فمادامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف ، بقى ذلك الجسم اللطيف ساريا فى هذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار ، من الحس والحركة الإرادية . وقد وقع فى كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاثة أنفس : مطمئنة ، ولوامة ، وأمّارة ، وقالوا: وإن منهم من تغلب عليه هذه ومنهم من تغلب عليه هذه . والتحقيق أنها نفس واحدة ، لها صفات ، فهى أمّارة بالسوء فإذا عارضها الإيمان صارت لوامة ، تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها ، وتلوم بين الفعل والترك ، فإذا قوى الإيمان صارت مطمئنة. [شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٥ ، الروح لابن القيم ص٢٦٤] .

ومنه الواردة : التى كانت ترد على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وحياً بالقرآن الكريم إلى داخل قلبه فيسمعه منه قبل أن يسمعه من جبريل عليه السلام ، قال الله تعالى ﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [النحل :١٠٢] .

ومن أجل ذلك كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم ينطق بالقرآن قبل أن يسمعه من جبريل عليه السلام ، فنهاه الله تعالى عن ذلك وأمره أن لا يُعَجِّل بما حصل فى سمع قلبه الباطن من وحى روح القدس حتى يسمعه بالسمع الظاهر على قلبه من جبريل عليه السلام ؛ ليتأيد ما عنده بما أتى به جبريل عليه السلام ، فيكون ذلك آكد لإبلاغ الرسالة وأقوى حجة لما أوحى الله به إليه ، فقال عز وجل ﴿**وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرءَانِ مِنْ قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْماً**﴾ [طه:١١٤] .

ومصدر فعل النفس ، عن الروح ، عن العقل ، عن روح الأمر ، عن الله عز وجل ، فهى تتصرف فى الحواس بجميع ما أودعها الله وألهمها بواسطة روح الحياة وتتحرك بإرادة نفسانية خلقها الله تعالى فيها ، تصدر عن إرادة الله عز وجل بما قضاه من خير أو شر أو طاعة أو معصية ، حتى ينفعل ما كان سابقا فى علم الله تعالى وما أبرمه بحكمه ومشيئته ، فيخرج ذلك من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ، فالله تعالى هو مُلهم النفس على الحقيقة لما أراد لقوله تعالى ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ [الشمس : ٨،٧] .

فهى مسخرة مقهورة بيد قدرة الله تعالى كسائر المخلوقات الجاريات بمشيئة الله تعالى وتدبيره لملكه بما شاء ، تبارك من له العلم والقدرة والحول والقوة فى كل شىء ومن بيده الملك وهو على كل شىء قدير .

والأصل فى فعل النفس : أن الله تعالى جعلها روحاً واسطة واصلة بين الروح والجسد ، فطرفها الأسفل متصل بدماغ الجسد الذى هو مبدأ الحواس ، وطرفها الأعلى متصل بالروح .

فمن أجلْ ذلك : تكون النفس ساكنة فى بعض الأحوال لاتصالها بالجسد الساكن عند الخمول ، وتارة تكون متحركة وذلك عند الإرادة ؛ لاتصالها بروح الحياة المتحركة أولا .

وأما الروح : فإنها لا تبرح تتحرك بسر الحياة ما دامت النفَسُ باقية مدة عمر الإنسان ؛ ولهذا لا تفارقه عند النوم كمفارقة أفعال الحس النفسانية ؛ لأن النفس عند النوم تنجذب إلى القلب لبُخارات ترتفع إلى الدماغ من الخوف، فتَنُوب عنَها تلك البخارات ؛ لاعتدالها ، لأن أصلها من الأربع الطبائع المركبة التى تخدم القلب -كما ذكرنا أولا فى تركيب الإنسان- فترجع الحواس عن أفعالها المفارقة للنفس . وهذا هو النوم الطبيعى الذى خلقه الله تعالى للإنسان ؛ ليستريح به من تعب الحركات الجسمانية والنفسانية التى تكون عند اليقظة ، فإذا دخلت النفس إلى الجوف اجتمعت الأرواح الثلاثة فى القلب أعنى : العقل ، والروح، والنفس ؛ فتكثر الروحانية هنالك . ولهذا يرى النائم شيئاً فى منامه فيكون حقا كالوحى لكثرة الروحانية واجتماعها فى القلب، فيصير ما رآه وحيا لقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((الرؤيا الصالحة: جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة))[٨٧] .

والدليل على أن النفس تنجذب عند النوم إلى القلب لكثرة الروحانية - كما ذكرنا- وكثرة الحرارة التى تهضم الطعام عند النوم لدخولها بزيادة الحرارة إلى الجوف ، فيقوم النائم وقد استمرئ[٨٨] ، وكَثُرة برده[٨٩] ظاهر البدن بسكون الحرارة المحركة واجتماع الحرارة الغريزية فى الجوف ؛ ولذلك يطلب الدِّثار[٩٠] .

---

(٨٧) أخرجه مسلم فى الرؤيا (١:١٦) عن إسماعيل بن الخليل .

(٨٨) أى هضم الطعام .

(٨٩) أى علا البدن بروده .

(٩٠) ما يتغطى به النائم .

وفى جميع ما ذكرنا من أفعال النفس دليل لمن قال : إنَّ النفسَ بخلاف الروح ، خلافاً لمن قال : إنهما واحدة . واحتج بأن الأرواح كلها روح واحدة، فهذا عائد إلى أنَّ الأصل فى الأرواح جميعها اللطافة فقط[٩١] .

والصحيح ما ذكرنا لكونها متفرقة فى كل جسم وهى متعددة وبعضها ألطف من بعض كقولنا : عقل وروح ونفس لكل واحدة فِعل ، فإذا اجتمع الجميع كحالة النائم كَثُرتْ اللطافة وقويت الروحانية المناسبة فى أصل الجنس منها فيقوى فعلها . وكحالة من يرقى من كثافة جهل النفس إلى لطافة ، حلم العقل . والدليل على ذلك : حالة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما فنيت نفسه فى لطافة روحانيته المجتمعة على العقل الكامل . حُبِسَ عنه شيطانه وفعلت حواسه عند النوم كفعلها فى اليقظة ؛ لكثرة الروحانية فيه ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((تنام عيناى ولا ينام قلبى))[٩٢] .

---

(٩١) اختلف الناس فى مسمى النفس والروح : هل هما متغايران ، أو مسماهما واحد ؟ فالتحقيق أن النفس تطلق على أمور ، وكذلك الروح ، فيتحد مدلولهما تارة ، ويختلف تارة . فالنفس تطلق على الروح ، ولكن غالب ما يسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها . ويطلق على الدم ففى الحديث : ((مالا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه)) .والنفس : العين ، يقال : أصابت فلاناً نفس ، أى عين . والنفس الذات ﴿**فسلموا على أنفسكم**﴾ وقوله ﴿**لا تقتلوا أنفسكم**﴾ ونحو ذلك . أما الروح فلا يطلق على البدن ، لا بانفراده ، ولا مع النفس وتطلق الروح على القرآن ، وعلى جبرين عليه السلام ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا**﴾ وقوله ﴿**نزل به الروح الأمين**﴾ ويطلق الروح على الهواء المتردد فى بدن الإنسان أيضاً . وأما ما يؤيدُ اللهُ به أولياءَه ، فهى روح أخرى كما قال تعالى﴿**أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه**﴾ وكذلك القوى التى فى البدن ، فإنها أيضا تسمى أرواحاً ، فيقال : الروح الباصرة ، والروح السامع والروح الشامُ ، ويطلق الروح على أخص من هذا كله ، وهو : قوة المعرفة بالله والإنابة إليه ومحبته وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته . وهذا نقلاً عن ابن أبى العز فى شرح العقيدة الطحاوية . [شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٤ ، العقل والنقل لابن تيمية ١٧٧/٢ الروح لابن الجوزى ص١٥٥] .

(٩٢) ذكره صاحب كنز العمال (٣١٩٠٠،٣٢٢٤٩) [عن عبد الرازق – عن عائشة ؛ ابن سعد عن المسند مرسلاً] .

وأقوى دليل على أن الأرواح متعددة : قول الله عز وجل حيث قال ﴿**يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا والَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيهَا المَوْتَ وَيُرسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ [الزمر :٢٤] .وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : ((الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف))(٩٣) .

ولنرجع إلى أصل فعل النفس ، ولما كانت النفس واسطة واصلة بين الروح والجسد ، تم فعلها واستيلاؤها على جميع البدن لقُربها منه ، فإذا أراد الله تعالى إلهام النفس شيئاً ألهم العقل أولاً بواسطة روح الأمر ، والعقل يلهم النفس بواسطة الروح ، فإذا صدر عن جميع الإلهام بإرادة الله تعالى إلى النفس أرادت واستولت على البدن فى بيتها الذى هو الدماغ ومبتدى حركات الحواس ، وفعلت ما ألهمت به من خير أو شر واكتسبت ما قُدِّرَ عليها من طاعة أو معصية ؛ لأن عملها فى الأصل مخلوق ، قال الله تعالى ﴿**واللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات :٩٦] فيكون ما أراد الله تعالى قديماً فى سابق علمه محدثاً بإرادتها بعد إرادته ، محكما فى ديوان حكمته ، وتدبير ملكه وعلمه وقدرته ، ومادة النفس فى الروح ، ومادة الروح فى العقل ، ومادة العقل من روح الأمر ، ومادة روح الأمر من الله عز وجل فيتصل ذلك جميعه بالجسد كائناً ما كان ؛لأن الجسد متصل بالنفس التى هى روح حِسِّهِ والنفس متصلة بالروح التى هى روح حياته ، والروح متصلة بالعقل الذى هو روح إلهامه ، والعقل متصل بروح الأمر الذى هو مِنْ خير ربه يظهر إليه ما فى وجوده من علمه وقدرته وإرادته .

والجميع حكمة الله وصنعته التى اخترعها ؛ ليَدُل بها على وجوده ومعرفته وعلمه وقدرته وإرادته ، وذلك أنَّ الله تعالى أقام إرادته مقام ذاته ،

---

(٩٣) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة باب الأرواح جنود مجندة رقم (٢٦٣٨) .وآخر فقرة من الحديث هى آية من القرآن سورة محمد الآية رقم (٢٣) .

فتجلى بمحاسن صفاته فى جميع موجوداته فدّل على معرفته بنفسه فقط ، كما قال تعالى ((**كنت كنزا لم أعرف فخلقت خلقا ثم تعرفت لهم فبى عرفونى**))[٩٤] . فهو محرك بالإرادة لروح الأمر ، وروح الأمر روح محرك للعقل والعقل روح محرك للجسد يتصرف فيه بجميع الأفعال النفسانية وإرادتها الصادرة عن إرادة عالم الغيب والشهادة .

وكل روح من هذه الأرواح عقل عاقل ومعقول أى جامع ومجموع ، فجامع بما يَصْدُر منه إلى ما تحته ، ومجموع مما صدر منه إليه مما فوقه ، فالنفس عقل للجسد ، والروح عقل للنفس ، والعقل عقل للروح ، وروح الأمر عقل العقل .

والبارى جل جلاله : عقل عاقل لجميع العقول العاقلات والمعقولات ، ومنه مصدرها وإليه يؤول أمرها كلها ، فهو فاعلها وصانعها على الحقيقة ، وكل واحد منها طبيعة مطبوعة ؛ أى كتابة مكتوبة بيد قدرة الله تعالى ؛ لأن الطبيعة مشتقة من الطبع الذى هو طبع الخاتم[٩٥] المكتوب الذى يطبعه فى الشمع ، فتنتقل الكتابة والصورة التى فى الخاتم إلى الشمع فى دفعة واحدة ، وفى ذلك إشارة إلى قوله تعالى ﴿**كن فيكون**﴾ ما أراد من تلك المخلوقات المتصلات بعضها ببعض ، فتنتقل تلك الصورة المعنوية الروحانية ، وذلك الطبع المطبوع من الوجود الأعلى إلى الوجود الأسفل من كل طابع ومنطبع ، فيقع الاتصال بين كلتى الطرفين ؛ فتكون صورة النتيجة المجتمعة من كل واحد منهما كما اتصل الخاتم بالشمع وظهر من بينهما صورة بالرسم المطلوب وقد يميز الطابع المنطبع بمشاهدة معرفة العارف . هذا حكم ما ينتقل من الموجودات إلى بعضها إلى بعض .

وأما ما ينتقل من وجود الله إلى وجود المخلوقات ، من العلم والمعرفة والإرادة فينطبع كما ينطبع الشىء المنظور فى المرآة الصغيرة ؛ فإنك إذا

---

(٩٤) تقدم فى هامش (٥٤) .
(٩٥) الطابع تُطبَع به السِمَة .

قابلت بها جبلاً صُورَ بجميع أجزائه فيها وحصل علمه ومعرفته من غير اتصال بها ولا انفصال عنها ؛ فهو متصل بمشاهدة النظر إلى الطبع المطبوع فيها فقط . كاتصال الفاعل والمفعول باللمس المتصل من الطرفين ، وهو منفصل عنها بالكلية ؛ لأن ذاته غير ذاتها ، وإنما شوهد منه ما انطبع بالعقل من الصفة المنطبعة في طبيعة المرآة، فالمرآة كقلب العارف بالله عز وجل تُصُوِ رَ فيها وانطبع من العلم والمعرفة والإرادة ، وهي صفات الله تعالى التي يتجلى بها للقلب ويطبعها فيه فَيُنْفِذها من وجوده إلى وجود الإنسان العارف فيوجدَها بعد العدم .

فإذا أراد الله ظهورها مِنْ عالم غيب الإنسان إلى عالم شهادته ألهم النفس فُجُورَها وتقواها ، فتحركتْ إرادتها عن إرادة الله عز وجل بما أودع الله فيها من الطبيعة المطبوعة ويظهر بفعل النفس كائناً ما كان .

فهذا كافٍ فيما أردناه مِنْ علم العقل والرُّوح والنفس ، وقصدناه في ذلك من علم الطبيعة ، وجعلناه أساساً لما نحن ذاكروه في كتابنا هذا ، والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب والحمد لله رب العالمين .